

# مواقف الاستشراق الإسرائيليّ تجاه إسلاميّة بيت المقدس

ناصر الدين أبوخضير\*

## تقديم

الاستشراق الإسرائيليّ حول القدس دعماً لتلكم الثوابت المُقرّرة في نفوس المستشرقين: ومنها أن الآثار الإسلاميّة في مدينة القدس وسائر فلسطين ما هي إلا محاولات لطمس الماضي، ومحو بقايا بني إسرائيل وأثار الأرض التي وهبها الربّ لبني إسرائيل وحدهم دون غيرهم من الأمم حتى أبد الأبد. ومن هنا يُعتبر وجود الأقصى وقبة الصخرة تجاهلاً للتاريخ اليهودي على جبل الموريا، فنلاحظ إجماعاً لدى المستشرقين الإسرائيليين وعلماء الآثار والتاريخ، وعلى رأسهم كوهن (Cohen) وريتر (Reiter) بأن تظل السيادة على مُحيط الحرم القدسيّ بيد سلطات الاحتلال الإسرائيليّ.<sup>١</sup> ومن الأساطير المُؤدّجة التي يبني عليها الاستشراق الإسرائيليّ أن القرى والتجمّعات العربيّة في فلسطين ليست سوى قرى يهوديّة قديمة استوطنها العرب لاحقاً؛ والدليل لديهم أن أسماء القرى والمدن العربيّة هي تحريف لأسماء الجغرافيّة التوراتيّة الأصيلة، باستثناء مدينة الرملة التي ما زالوا يصرون ببنيتهم تغيير اسمها. كما أن الاستشراق الإسرائيليّ ينطلق من دعوى أن اليهود عاشوا على أرض فلسطين دون انقطاع منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام وحتى يوم الناس هذا.

والملاحظ أن جُلّ آراء الاستشراق الإسرائيليّ متعلّقة جذورها بالاستشراق الغربيّ؛ إذ إن رواد الاستشراق الإسرائيليّ

جاءت العديد من الدراسات الغربيّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة، في إطار فرض الهيمنة السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة، والسيطرة على الثروات، وإملاء أجندات وبرامج تُؤدّي إلى السيطرة بالكامل على صنع القرار، المتعلّق بشؤون الحياة المختلفة، إن ثقافيّاً، وإن عسكريّاً، وإن اقتصاديّاً. وقد عرّف الكاتب الفلسطيني إدوارد سعيد الاستشراق بأنه نمط من الإسقاط الغربيّ على الشرق، ومحاولة للسيطرة عليه. أي أن الدراسات الغربيّة للشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس، وتحكم عليه بما لديها من قيم ومعايير غربيّة؛ بهدف حُكم هذا الشرقي، أو تأديبه، أو دراسته. وعندئذ نرى النظرة تجاه الشرقي، العربي والمسلم، تصطبغ بالاستعلاء والازدراء.<sup>٢</sup>

ويعود سبب اختيار مصطلح «الاستشراق الإسرائيلي» إلى حقيقة أن العديد من الدراسات الاستشراقية حول «القدس العربيّة»، والتي تغطّي الفترة الممتدة منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى الآن، هدفها تبرير سياسات الاحتلال الإسرائيلي، وتمكينه من السيطرة على الأرض والإنسان، بالإضافة إلى تشويه تاريخ المكان، وتزييفه، ومن ثمّ إضفاء صبغة يهودية عليه.

ليس من التعسف القول أن الاستشراق الإسرائيليّ، باستثناء حالات قليلة، نمطيّ ومُؤدّج، فهو جزء لا يتجزأ من مؤسسات الدولة الصهيونيّة، إن في مناهج التعليم، وإن في وسائل الإعلام، وإن في الآثار والسياحة، وإن في الأجهزة الأمنيّة والسياسيّة. فهو ينطلق من ثوابت مُتفق عليها، غير مكتوبة، ولكنها راسخة في وعي المستشرق الإسرائيليّ وتفكيره، لا يبغي عنها حوالاً؛ لذلك تأتي معظم كتابات

١ سعيد. إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب. مؤسسة الأبحاث العربيّة. بيروت. ١٩٩٥. ص ٣٨-٤٣.

٢ تم التصريح بهذا الرأي في محاضرة أُلقيت أثناء مؤتمر «أيام القدس» في معهد بن تسفي للأبحاث. ٢٠١٢/٧/٤. (بالعبرية)

\* محاضر في جامعة بيرزيت - دائرة اللغة العربيّة.

كماير (Mayer)<sup>٢</sup> وجويتين (Goitein)<sup>٣</sup> وكستر (Kister)<sup>٤</sup> هم تلامذة المدرسة الاستشراقية الأوروبية. وما يميز الاستشراق الإسرائيلي أيضًا أنه انتقائي، وتُعوزُه المصداقية والموضوعية في اختيار المصادر التاريخية والدينية التي تخدم أغراضه، متجاهلاً في الوقت نفسه، وفي المصدر نفسه أحياناً، روايات تاريخية تناقض ما وصل إليه من نتائج. ويكاد يجمع المستشرقون الإسرائيليون على التشكيك في مصداقية المصادر التاريخية الإسلامية، ما لم توجد روايات تساندها من خارج الحضارة العربية الإسلامية، كالمصادر اليونانية أو اليهودية أو غيرها من المصادر.

## مكانة القدس الدينية لدى العرب

يزعم جيل (Gil) أن القدس لم تكن مقدسة مع بداية الفتح الإسلامي، ولم تشكل مركزاً للعبادة الدينية لدى الفاتحين، أي أن نظرة العرب لأهمية القدس يحركها دوافع عسكرية وإستراتيجية وليست دينية؛ بهدف تقوية سيطرتهم على المدينة؛ لذلك، وحسب جيل، فقد سمح الخليفة عمر بن الخطاب لليهود بالعودة إلى القدس، بهدف كسر شوكة السكان الأصليين من النصارى. ثم قام العرب الفاتحون بعد ذلك، وتحت الحكم الأموي، بإضفاء القداسة على المكان. ومن الأدلة التي يعضد بها ادعاءه أيضاً تغيير قبلة الصلاة، وتحويلها من القدس باتجاه الكعبة.<sup>٥</sup> أما المستشرق جويتين فهو أيضاً يقلل من شأن مكانة القدس الدينية لدى العرب، من طريق الموازنة مع التراث اليهودي، الذي يذكر سبعين اسماً للقدس، دلالة على أهميتها الفائقة لدى اليهود، بعكس التراث الإسلامي الذي يذكر سبعة عشر اسماً للقدس لا غير. بالإضافة إلى ذلك، يرى جويتين و سيفان (Sivan) أن الاسم العربي الجديد بعد إيلياء هو:

(بيت المقدس) الذي هو ترجمة حرفية للاسم اليهودي (بيت همكداش בית המקדש).<sup>٦</sup>

ويستند سيفان كذلك إلى قول المستشرق اليهودي الهنغاري جولدصهر (Goldziher)<sup>٧</sup> بأن الأحاديث النبوية التي تؤكد أهمية القدس الدينية مزيفة؛ وقد زيفها الأمويون لخدمة أهدافهم السياسية، فحاولوا توجيه الحج إلى القدس، بدل مكة، أثناء ثورة ابن الزبير في الحجاز. ولكن جويتين يعترض على الأخير بحجة أنه يعتمد على مصدر شيعي معاد لبنى أمية وهو ابن واضح اليعقوبي.<sup>٨</sup>

## «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»

هذا الحديث النبوي من أهم الأحاديث التي تعزز مكانة القدس الدينية باعتبارها المرتبة الثالثة بعد مكة والمدينة المنورة؛ لذلك حظي باهتمام بالغ من قبل المستشرقين، وعلى رأسهم كستر الذي أفرد لهذا الحديث دراسة كاملة، يصل فيها إلى نتيجة مؤداها أن الحديث النبوي مرآة للتطور التاريخي الذي طرأ على أهمية القدس بعد الفتح الإسلامي، فهو يمثل تغيراً كبيراً في مواقف الفقهاء المسلمين تجاه تقديسها، أي أنه اعتراف كامل بأهمية القدس في العالم الإسلامي بموازاة مكة والمدينة المنورة، إذن فهو، في رأيه، وضع مع نهاية القرن الهجري الأول وبداية الثاني، ويرى أنه تعرض للتغيير والتعديل في فترة لاحقة؛ بهدف إضفاء القداسة على المدينة، وجعلها مساوية لمكة والمدينة المنورة، فالحديث يعكس آراء من ينشره، وذلك أثناء حكم عبد الملك وابنه الوليد؛ وجاء ذلك في معرض مناقشته لمعارضة الفقهاء تقديس بيت المقدس؛ حتى لا تصبح مكاناً للحج فتنافس مكة، وأورد بعض الروايات المنقولة عن الصحابي عبد الله بن مسعود الذي قال: «لو أن بيني وبين القدس ميلين لم أرزها» (نقلاً عن مصنف عبد الرزاق الصنعاني)، إضافة لامتناع مالك بن

٣ ماير (١٨٩٥-١٩٥٩) من مواليد بولندا، مستشرق في مجال الفنون الإسلامية. كان مفتشاً للآثار أثناء الانتداب البريطاني. وأستاذاً في الجامعة العبرية. وأطلق اسمه على متحف الآثار الإسلامية في القدس.

٤ ولد جويتين (١٩٠٠-١٩٨٥) في ألمانيا. وهو من كبار المستشرقين الإسرائيليين في تاريخ الإسلام، واليهود في الدول الإسلامية. وهو مؤسس قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة العبرية.

٥ كستر ١٩١٤-٢٠١٠ من مواليد بولندا. وهو من أهم المستشرقين الإسرائيليين الذين تركوا بصماتهم جلية في مجال البحث والتدريس. ومعظم المستشرقين الإسرائيليين في الإسلام المبكر وتاريخ اللغة من طلبته. كان من مؤسسي قسم اللغة العربية والإسلام في الجامعة العبرية.

٦ جيل، موشه. فلسطين في الفترة الإسلامية المبكرة (١٣٤-١٠٩٩). جامعة تل أبيب. تل أبيب. ١٩٨٣. ص ٤٢-٦١؛ ٧٥-٨٥. (بالعبرية).

٧ غويتين. شلومو. اليهود في فلسطين في صدر الإسلام والعصر الصليبي. مؤسسة بن تسفي. القدس. ١٩٨٠. ص ٦-٣٩. (بالعبرية)؛ وقد أعيدت طباعة قسم من الكتاب بعنوان: «القدس في الفترة العربية ٦٣٨-١٠٩٩ ضمن مجموعة مقالات حررها: أمنون كوهين بعنوان: القدس. دراسات في تاريخ المدينة». ١٩٩٠.

٨ جولدصهر (١٨٥٠-١٩٢١) مستشرق يهودي هنغاري. من أهم المستشرقين الأوروبيين. كتب حول الشريعة والعقيدة الإسلامية. ونسب أصول الإسلام لليهودية والمسيحية. كان أحد مؤسسي الموسوعة الإسلامية. وظل أستاذاً في جامعة بودابست حتى تقاعده.

٩ غويتين. ص ٢٥؛ شارون. ص ٣٦.

أنس عن زيارة بيت المقدس؛ خوفاً من أن تصير سنة، كما أنه نقل رواية عن (ابن عساکر) جاء فيها أن سعد بن أبي وقاص يفضل الصلاة في مسجد قباء على المجيء إلى القدس.<sup>١٠</sup> ولتدعيم رأيه بأن القدس اكتسبت هذه المكانة المقدسة في مرحلة متأخرة استشهد بأقوال ابن تيمية الذي يحظر الصلاة باتجاه الصخرة، ومن زيارة الحرم الإبراهيمي، ومن إطلاق العامة لفظة (الحرم) على مسجد القدس والخليل. ويلخص كستر مقاله بأن هذا الحديث حظي بالاعتراف الواسع بعد مدة طويلة من الجدل بين الفقهاء، وذلك بعد مطلع القرن الثاني الهجري.<sup>١١</sup>

وفي حديثه عن أسلمة القدس أوضح المستشرق سيفان أن أهميتها الدينية جاءت متأخرة بعد الفتح الإسلامي، وقرر أن جل الروايات والأحاديث التي تقدس المكان وما حوله مستقاة من السكان الأصليين من اليهود والنصارى. كما أنه يشدد على أن مكانة القدس منوطة بأهداف الأمويين السياسية. وهو ما يؤكد المستشرقان شارون ويفه (Sharon Yafeh<sup>١٢</sup>)، فقد ذكرت يفه أن القدس لم تكن مهمة لدى العرب الفاتحين، وأن فكرة تقديسها تلقاها النبي من إحدى الفرق الدينية المسيحية أو اليهودية. ولتدعيم رأيه بأن للقدس مكانة هامشية في الفترة الإسلامية المبكرة ذكرت أن اسم القدس لم يرد صراحة في القرآن، بالمقابل، هنالك عدة نصوص قرآنية تضمنت الوعد الإلهي لبني إسرائيل بأن الله أورثهم الديار المقدسة، وكتبها لهم. بالإضافة إلى ذلك، تدعي أن تحويل القبلة أمر به النبي بعد قطع العلاقات مع اليهود في المدينة المنورة. وأكدت أن القدس كانت مهملة وبائسة حتى القرن التاسع عشر، وظلت هكذا إلى أن جاء الحاج أمين الحسيني فبدأ بنشر صور لقبة الصخرة، وبدأت مكانة القدس تزداد لأسباب سياسية واضحة.<sup>١٣</sup>

ويؤكد المستشرق شارون أنه بعد خراب الهيكل الثاني على يد الرومان سنة ٧٠م وحتى قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، لا يمكن الحديث عن التاريخ السياسي لفلسطين، فخلال ما يقارب الألفي عام لم تكن القدس كياناً سياسياً مستقلاً، باستثناء مملكة بيت المقدس في فترة الحروب الصليبية. فلم تكن للقدس أهمية تذكر خلال فترات الحكم الإسلامي، ولا نكاد نجد لفلسطين ذكراً مهماً في المصادر

١٠ كستر. مثير. أبحاث في نشأة الإسلام. مطبعة ماجنس. القدس. ٢٠٠٩. ص ١٢٠. فما فوق. (بالعبرية)

١١ المصدر نفسه.

١٢ يفه (١٩٣٠-١٩٩٨) مستشرقة إسرائيلية من مواليد ألمانيا. عملت أستاذة في الجامعة العبرية. حصلت على جائزة إسرائيل في التاريخ لعام ١٩٩٣. وكانت متخصصة في كتابات الغزالي.

١٣ يفه. حافه: «قدسية القدس في التراث الإسلامي». مجلة مولد. مج: ٤، عدد (٢١). ١٩٧١. القدس. ص ٢١٩-٢٢٧. (بالعبرية). أعيد نشر هذا المقال باللغة العربية ضمن كتاب حرره أمنون كوهن: القدس - دراسات في تاريخ المدينة. ١٩٩٠.

الإسلامية، حتى القرن الخامس عشر، حين ظهر كتاب مختص بفلسطين على يد مجير الدين الحنبلي. ويلخص نقاشه بأن القدس وفلسطين عامة ظلت تعاني تحت الحكم الإسلامي من الإهمال واللامبالاة، وفقدت الكثير من مكانتها الروحية. كما أن أسلمة فلسطين وبيت المقدس لم تنجز تماماً؛ لأن غالبية السكان ظلت حتى فترة المورخ المقدسي من غير المسلمين، ويستند إلى كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ففيه يندب حظ القدس في القرن العاشر، إذ إن معظم سكانها من اليهود والنصارى.<sup>١٤</sup>

ويرى شارون أن أهمية القدس الدينية مرهونة بخدمة الأهداف والمصالح السياسية، وهو ما يحرك حكام المسلمين، وليس لها أهمية دينية في حد ذاتها، والدليل أن سلطان مصر الأيوبي قام، خلال الحروب الصليبية، بتسليم القدس للفرنجية سنة ١٢٢٨م: خدمة لأهدافه السياسية والعسكرية، وقبل ذلك بعشر سنوات أجلى الملك المعظم الأيوبي سكان القدس، وهدمها؛ لعدم استطاعته الدفاع عنها.<sup>١٥</sup>

## فضائل بيت المقدس

يعتقد كستر أن أحاديث الفضائل نشأت وتطورت في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، أي بعد تولي معاوية بن أبي سفيان الحكم، الأمر الذي يؤكد ارتباط فضائل القدس بالحكم الأموي. ويذكر سيفان معارضة الكثير من الفقهاء لأحاديث الفضائل، والبدع المتعلقة بزيارة القدس، ويرى نقطة التحول بعد احتلال الفرنجة للقدس سنة ١٠٩٩م، حيث أضفى نور الدين زنكي وصلاح الدين الصبغة الدينية على الجهاد؛ من أجل تحرير الأقصى.<sup>١٦</sup>

ومن جهته، أوضح حسون (Hasson) أن أول كتاب يتحدث عن فضائل القدس ألفه إمام الأقصى الواسطي في مطلع القرن الخامس الهجري، وبعده أبو المعالي بن المرجي، الأمر الذي يدل على أن أهمية القدس السياسية والاقتصادية لم تكن ذات شأن. والأسباب التي أدت إلى ازدهار فضائل القدس في رأيه تعود إلى تأثير بني أمية، وخاصة معاوية وعبد الملك، وتأثير الروايات اليهودية والمسيحية في المسلمين، فنجد في كتب الفضائل نصوصاً كثيرة من التوراة، وتعود أيضاً إلى تأثير القصص والزهاد، والحملات الصليبية. لكن حسون يخلص إلى نتيجة مؤداها أنه من الصعب القول بأن كتب فضائل القدس والشام ألقت بإيحائهم من الحكام، كما أن المؤثر النصراني في تلك الكتب غير موجود.<sup>١٧</sup>

١٤ شارون. ص ٩-١٥.

١٥ المصدر السابق. ص ١٦-٢٩.

١٦ كستر. ص ١٢٠. فما فوق.

١٧ حسون. إسحق: «القدس من وجهة نظر إسلامية».

تتمحور قُدسية المسجد الأقصى والقدس وفلسطين عامّة على آية مُهمّة «سبحان الذي أسرى... الآية»؛ لذلك حظيت باهتمام بالغ لدى المستشرقين الإسرائيليين، فيرى سيفان وجيل وهوروفيتس (Horovitz)<sup>١٨</sup> أنّ الرّبط بين القدس والمسجد الأقصى المذكور في سورة الإسراء جاء لاحقاً، بعد بناء الأقصى وقبة الصخرة. ويُجري حسّون (وهو مهاجر من سوريا) نقاشاً حول ربط حادثة الإسراء إلى المسجد الأقصى بالقدس، ويرى أنّ كلمة (الأقصى) بمعنى البعيد ليست فيها دلالة قاطعة على القدس، واستند إلى بعض الروايات الإسلامية التي تشير إلى أنّ الأقصى مسجد سماوي، وليس أرضياً، على غرار القدس السماوية في اليهودية، وهو ما يرجّحه الكثير من المستشرقين المعاصرين، ويصل في نهاية نقاشه إلى نتيجة تنصّ على أنّ المصطلح القرآني (المسجد الأقصى) لم يكن مرتبطاً بمكان معيّن في البداية، ولكن بعد بناء الأقصى وقبة الصخرة تمّ الرّبط بين آية الإسراء والقدس. ويذكر جيل وسيفان أنّ المسجد الأقصى ربما كان بالقرب من المدينة المنورة، وأنّ الروايات الإسلامية حاولت تحديد مكانه لاحقاً بالقرب من الكوفة.

وفي المقابل، أبدى جويتين رأياً مغايراً، حينما اتّفق مع الروايات الإسلامية بأنّ المسجد الأقصى يقع في القدس؛ لأنّها المرّة الوحيدة في القرآن التي ذُكر فيها اسم المسجد، إضافة إلى أنّ للسورة اسماً إضافياً هو سورة بني إسرائيل، كما أنّه تمّ ذكر خراب الهيكل الأول والثاني في القدس، وجاء مقترناً بسرد حادثة الإسراء. واعتزّض هذا الرأْي بأنّ الأرض المقدّسة سُميت في القرآن (أدنى الأرض) «ألم غلبت الرُّوم في أدنى الأرض»، بعكس مصطلح (الأقصى) وهو البعيد، لذلك من المستبعد أن تكون القدس المكان المقصود، ولم تكن ثمة مبانٍ في منطقة الأقصى. بالإضافة إلى أنّ أسماء السور القرآنية، وترتيب الآيات تمّ في عهد عثمان بن عفّان. وللخروج من هذه الإشكالية يقترح جويتين بأنّه ربما قام أحد الأحرار اليهود الذين أسلموا بالربط بين خراب الهيكل وحادثة الإسراء. ويرى سيفان أنّ القدس لم تحط بأية قداسة لدى عرب الجاهلية، ولم يعرفوا (المسجد الأقصى).<sup>١٩</sup> ويعضّد ذلك ما قاله حسّون بأنّ مصطلح (المسجد الأقصى) لم يكن مرتبطاً بالقدس في زمن معاوية وعبد الملك، ولو أنّهما عرفا ذلك لتم استغلاله لمصالحهما السياسيّة. والدليل أنّ آية الإسراء لم

تظهر في النقوش الموجودة في قبة الصخرة.<sup>٢٠</sup> ويطرّح جيل تصوّراً آخر لتفسير المصطلح (الأقصى)، وهو أنّ (المسجد الأقصى) مصطلح ديني له علاقة بسلسلة الأنبياء، أي أنّ النبي هو خاتم الأنبياء، والمقصود به الأخير أو الأقصى في السلسلة.<sup>٢١</sup> ونختم برأْي لإبعاد مؤداه أنّ بدء تقديس المسلمين لبيت المقدس مرتبط أوّلاً بذكر أنبياء بني إسرائيل، وليس بحادثة الإسراء (استناداً إلى العماد الأصفهاني، الفتح القدسي).<sup>٢٢</sup>

## قبة الصخرة وأسباب بنائها

يستخلص مجموعة من المستشرقين وعلى رأسهم جيل من قصّة التّابعي كعب الأحبار مع الخليفة عمر بن الخطاب، أنّه لم تكن للقدس أهميّة دينيّة كبيرة لدى العرب، وقد اكتسبت هذه المكانة في وقت لاحق، إذ رفض الخليفة عمر بناء المسجد الأقصى شمّال قبة الصخرة، وفقاً لنصيحة كعب الذي كان يهودياً فأسلم، وبنى الأقصى جنوب قبة الصخرة ليكون القبلة في الصّلاة. ويستند المستشرقون إلى موقف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية اللّذين منعا تقديس الصخرة، والطواف حولها، وعدّ الروايات الدّاعية إلى تقديس الصخرة كاذبة مختلفة، وأنها بدع تُنافي شريعة الإسلام. كما أنّ بناء المسجدين بهذه الفخامة والكلفة مُناف لروح الإسلام المبكر وتعاليمه، التي تدعو إلى الرّزق والتّشكّف.<sup>٢٣</sup>

وفي الدّراسة التي كتبها إلاد عن القدس في القرون الوسطى، يؤيّد جويتين في إنكاره ادعاء مجموعة من المستشرقين في القرن التاسع عشر والعشرين، كجولدسهر، بأنّ الأمويين أرادوا تحويل الحجّ إلى القدس، حيث الأماكن المقدّسة لليهوديّة والنّصرانيّة، ويقرّر أنّ جولسهر اعتمد على رواية وحيدة لمؤرّخ مؤيّد للشيعة، أعداء بني أمية. ويرى جويتين أنّ وراء بناء قبة الصخرة والأقصى دوافع ثقافيّة وحضاريّة ودينيّة آمن بها الجيل الثاني من المسلمين، باعتمادها وسيلة من وسائل التّنافس والصراع والجدل مع النّصرانية، المُمثّلة بالدولة البيزنطيّة، ووسيلة لإظهار عظمتهم الإسلام وقوّته، في مواجهة المباني الفخمة للكنائس في القدس من أجل الدّعوة إلى الدّخول في الدين الجديد، وتشهد على ذلك الكتابات والنقوش في قبة الصخرة، إذ تدعو إلى وحدانيّة الله.<sup>٢٤</sup> ويعتقد بأنّه ليس من المستبعد أن تكون

٢٠ حسّون، ص ٢٨٣-٣٠٦.

٢١ جيل، ص ٨٠.

٢٢ في محاضرة ألقاها عن القدس في الفترة الإسلامية المبكرة. في مؤتمر أيام القدس. في معهد بن تسفي - القدس. الأرباء ٢٠١٢/٧/٤.

٢٣ جيل، ص ٧٥-٧٩.

٢٤ Elad, Amikam. 1995. Medieval Jerusalem And Islamic Worship, Holy Places, Ceremonies, Pilgrimage. E.J.

مقال في كتاب نشره يهوشوع برافار بعنوان: كتاب القدس - الفترة الإسلامية المبكرة ٦٣٨-١٠٩٩. (بالعبرية) مؤسسة بن تسفي. القدس. ١٩٨٧. ص ٢٨٣-٣١٣.

١٨ هوروفيتس (١٨٧٤-١٩٣١) مستشرق يهودي. من مواليد ألمانيا. كان أستاذاً للسلاميات في جامعة فرانكفورت حتى تقاعده. وأحد مؤسسي قسم الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبرية.

١٩ سيفان، ص ٣٥.

الفيسفساء والحجارة الكريمة الموجودة في قبة الصخرة  
وُضعت تحت تأثير نصوص من التوراة، التي وصفت القدس،  
قام بنقلها المسلمون. كما أن الروائع العطرة التي كان الزوار  
(وما يزالون) يتعطرون بها في قبة الصخرة ربما كانت بقايا  
لعادات وتقاليده يهودية، كانت سائدة أثناء الفترة البيزنطية،  
حيث كان يسميها اليهود (صخرة الشرب: אבן השתייה)<sup>٢٥</sup>.  
وفي مطلع حديثه عن الأسباب الكامنة وراء بناء قبة  
الصخرة يؤكد إلعاد أن القدس كان لها أهمية دينية هائلة،  
ويدل على ذلك المباني الفخمة في محيط الحرم الشريف،  
كالأقصى وقبة الصخرة وقبة النبي وقبة السلسلة والحايط  
المحيط بالحرم والأروقة، وتعبيد الطرق من وإلى القدس. ثم  
ذكر إلعاد أن بعض الباحثين ومنهم هاملتون (Hamilton)<sup>٢٦</sup>  
يرَوْنَ أن إنشاء قبة الصخرة دلالة على رغبة المسلمين بإعادة  
بناء هيكل سليمان، وكذلك يدعي كل من جرابار (Grabar)<sup>٢٧</sup>  
وبوسه (Busse) أن قدسية الصخرة مستمدة من اليهود.<sup>٢٨</sup>

وأورد إلعاد روايات يهودية، لها علاقة بنهاية العالم، في  
النصف الثاني من القرن السابع، وبداية الثامن الميلادي لها  
تعلق ببناء قبة الصخرة والهيكل، وأن المسلمين سيقومون  
ببنائه، ويدعم هذه الرواية ما كان يقوم به المسلمون من  
طقوس في محيط الأقصى، فكان الزوار يدخلون الصخرة  
يومي الإثنين والخميس، وفيهما تقرأ التوراة، ويعتمد في  
هذه الرواية على «فضائل القدس» للواسطي، ونص نادر  
في «فضائل القدس» لابن المرحي، جاء فيه: «مكتوب في  
بعض الكتب: يروسانيم، وهي بيت المقدس، الصخرة يُقال لها  
الهيكل، أبعث إليك عبدي عبد الملك يبنيك ويخرقك، ولأزدد  
إلى بيت المقدس ملكه الأول، ولأكللنها بالذهب والفضة  
والمزجان، ولأبعثن إليك خلقي، ولأصنعن على الصخرة  
عرشي، وأنا الله الرب، وداد ملك بني إسرائيل»<sup>٢٩</sup>.  
ومن الأسباب التي ذكرها إلعاد وراء بناء قبة الصخرة  
ما له علاقة بأحداث يوم القيامة، فأحد أبواب مسجد قبة

Brill. Leiden. New York. Köln. pp 158-160.

٢٥ Elad, 160-162.

٢٦ هاملتون (١٩٠٥-١٩٩٥) عالم آثار إنجليزي. كان مفتشا  
ثم مديرا عاما لسلطة الآثار في فلسطين. أثناء الانتداب  
البريطاني. قام بحفر واستكشاف العديد من المواقع  
الأثرية في فلسطين.

٢٧ جرابار (١٩٢٩-٢٠١١) مستشرق فرنسي. متخصص في  
التاريخ والآثار. وخاصة العمارة والفنون الإسلامية. كان  
أستاذًا في جامعة برنستون في الولايات المتحدة حتى  
تقاعده.

٢٨ Elad, ibid.

٢٩ Elad, 162.

انظر:

ابن المرحي. أبو المعالي المشرف بن المرحي بن إبراهيم.  
فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام. حققه  
وقدم له: دوفر ليفه - كسري. دارالمشرق للترجمة  
والطباعة والنشر، شفاعمر. ١٩٩٥. ص ٦٣-٦٤.

الصخرة يُسمى باب إسرائيل، وباب آخر اسمه باب الجنة، وهو  
ما أثبتته المتخصصة في الآثار الإسلامية أيلون (Aylon) في  
دراستها للزخارف الموجودة في قبة الصخرة.<sup>٣٠</sup>

ويخلص إلى نتيجة مفادها أنه لا تناقض بين الادعاء  
بأن قبة الصخرة، التي أقيمت على موقع هيكل سليمان،  
بوصفها رمزاً يدل على القيامة، وفي الوقت نفسه تم بناؤها،  
لإعلاء شأن المدينة مقابل مكة التي كانت في قبضة ابن  
الرُبير.<sup>٣١</sup>

## قصة الفتح الإسلامي للقدس وزيارة الخليفة عمر بن الخطاب لها

بالرغم من أن المستشرقين الإسرائيليين وعلى رأسهم جويتين  
وجيل ينوهون المرة تلو الأخرى بأن الفتح الإسلامي لبيت  
المقدس أنهى ٥٠٠ عام من حرمان اليهود دخول منطقة  
الحرم القدسي، أي من سنة ١٣٥ م وحتى ٦٣٨ م، إلا أنهما، أي  
جويتين وجيل يشككان في زيارة الخليفة عمر بن الخطاب  
للقدس؛ لأسباب نفصلها لاحقاً. ويقع جيل في تناقض جلي  
عندما يستشهد بموقف الخليفة عمر الراض لاقتراح كعب  
الأحبار ببناء المسجد الأقصى شمال قبة الصخرة، وذلك  
بهدف الإشارة إلى عدم أهمية القدس والصخرة في بداية  
الفتح الإسلامي.<sup>٣٢</sup>

وفي اعتقاد جويتين وجيل وغيرهما من المستشرقين  
أن الروايات التاريخية بشأن زيارة عمر للقدس لا أساس لها  
من الصحة، وقد وُضعت من أجل المبالغة في قصة الفتح  
الإسلامي وتبجيل الحدث. ولها أيضاً أهداف تربوية تعليمية  
(وفق ما يدعي جيل)، إذ إنها تبرز تواضع الخليفة، وورعه  
وهذه في متاع الدنيا الزائل، عندما صوّرت الروايات  
التاريخية وهو يدخل القدس راكباً جملاً مُتدثراً جبة مرقعة.  
ولما توافر لجيل مصدر تاريخي يوناني، يؤكد زيارة الخليفة  
عمر للقدس، وهو تاريخ ثيوفانس، شكك في مصداقيته؛ لأن  
المؤرخ اليوناني في نظره متأثر بالروايات الإسلامية.<sup>٣٣</sup>  
كما أن جيل (نقلاً عن جويتين) شكك في نزاهة العهدة  
العمرية، ونزاهة راوي الطبري سيف بن عمر، مستنداً إلى  
روايات أخرى لم تذكر العهدة العمرية، ولم تذكر منع اليهود  
من سكنى القدس. كما أن وجود بعض السكان اليهود في  
القدس بعد الفتح الإسلامي، وفق ما يدعي جويتين يؤكد  
ذلك.<sup>٣٤</sup> وثمة رواية ذكرها المؤرخ اليعقوبي تشير إلى أن  
الخليفة عمر أرسل، وهو في الجابية، بالنيابة عنه ثابت بن

٣٠ Elad, 162.

٣١ Elad, ibid.

٣٢ جيل. ص ٤٣-٥٧؛ غويتين. ص ٩-١٠.

٣٣ جيل. المصدر نفسه؛ غويتين. المصدر نفسه.

٣٤ غويتين. ص ٣٩.

ظاعن الفهمي لإبرام اتفاقية الصلح مع سكان القدس، وفي رواية أخرى (استناداً إلى البلاذري وابن عساكر) فإن الذي أجرى الصلح خالد بن ثابت.<sup>٣٥</sup> وفي بحثه لمسألة هوية فاتح القدس، يتكئ حسون، في التشكيك بزيارة عمر بن الخطاب، على نقاش أثاره المؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري، الذي فسر الروايات التاريخية المتعلقة بالزيارة على أنها صراع بين رواة الشام من جهة، ورواة المدينة المنورة والكوفة من جهة أخرى. فالرواية الشامية تقر أن فاتح القدس هو عمر؛ لإبراز مكانة القدس، في المقابل، يرى رواة المدينة والكوفة أن عمر أُوكل إلى أحد القادة القيام بإجراء الصلح، وليس هو شخصياً.<sup>٣٦</sup>

أما قصة الفتح الإسلامي للقدس، فيرى سيفان وبرافار وشارون وجيل وغيرهم أن الفتح العربي للمدينة لم يكن بدافع ديني أو إستراتيجي؛ لعدم أهميتها الدينية لدى العرب، ومن الأدلة التي يسوقونها أن القدس فتحت في وقت متأخر، بعد الكثير من مدن الشام، فلو كانت مهمة لفتحها العرب أولاً. ولتأكيد هذا الافتراض يشير برافار إلى أن جيوش الفتح العربي جاءت من جنوب فلسطين باتجاه سوريا؛ مما يؤكد مكانتها الهامشية من ناحية دينية وعسكرية. وبعد احتلال المدينة بدأت محاولات ترسيخ مكانتها الدينية، فاحتلت مكانة في خريطة الدين الجديد، بوصفها مكاناً للحج، وثالث المدن المقدسة.<sup>٣٧</sup> ويصل شارون في بحث له عن تاريخ القدس تحت الحكم الإسلامي إلى أن الفتح الإسلامي كان بمثابة كارثة، فقد جلب الخراب والدمار، وتدهورت الحالة الاقتصادية والسكانية والاجتماعية بعد الفتح الإسلامي، بعكس الفترة اليهودية، أو البيزنطية، حين كانت القدس القلب النابض للدولة، وهو ما يؤكد أن القدس، عند العرب مدينة هامشية جداً، وليس لها أهمية سياسية.<sup>٣٨</sup>

## لماذا لم يتخذ المسلمون القدس عاصمة لفلسطين؟

من أهم الأدلة التي يتذرع بها الاستشراق الإسرائيلي، حتى يومنا هذا، على عدم أهمية القدس لدى المسلمين أنهم لم يتخذوها عاصمة لفلسطين بعد الفتح الإسلامي، وعلى رأسهم جويتين وسيفان وشارون وفيه.<sup>٣٩</sup> وبالعكس هؤلاء يتبنى إلعاد موقفاً مغايراً، معتبراً أن القدس كانت، لمدة قصيرة، المركز الإداري والسياسي والمالي لجند فلسطين. وبالرغم من عدم

وجود دليل قطعي على أن بني أمية اعتبروا القدس عاصمة لهم، إلا أن الإنفاق الهائل في بناء المدينة، لا يدع مجالاً للشك في أنهم أرادوا أن يعدوا القدس؛ لتصبح مركزاً دينياً وسياسياً. واستمرت، في رأيه، تلك الجهود من حكم معاوية بن أبي سفيان وحتى حكم سليمان بن عبد الملك، الذي شرع في بناء الرملة.<sup>٤٠</sup> ولكنه في محاضرة ألقاها في مركز أبحاث القدس التابع لمعهد بن تسفي في ٢٠١٢/٧/٤ أكد أن اختيار دمشق وبغداد والقاهرة عواصم دون القدس مؤشر واضح على أنها مدينة هامشية، سياسياً وعسكرياً وإدارياً لدى المسلمين. ويقرر إلعاد أن معظم الباحثين الجدد يؤمنون بفرضية جويتين، فهم لا يرون أن قبة الصخرة بنيت بديلاً للكعبة.

٣٥ جيل. ص. ٤٥.

٣٦ حسون. ص. ٢٩٣.

٣٧ برافار. المقدمة. ص. ١٢٢-١٢٣.

٣٨ شارون. ص. ١٥، ١٧، ١٨، ٢٩.

٣٩ غويتين. ص. ١؛ سيفان. ص. ٣٦؛ شارون. ص. ٩؛ وفيه. ص. ٢١٩-٢٢٧.